معرض الكتاب المرتقب احتفالية أم تكريس ثقافة؟

هل يعود معرض الكتاب بقوة تناسب اسمه والثقافة السورية العريقة؟!

البحث عن آليات تخرجه عن التقليدية وتجعله مقصداً للمثقفين والقرّاء العرب

| إسماعيل مروة

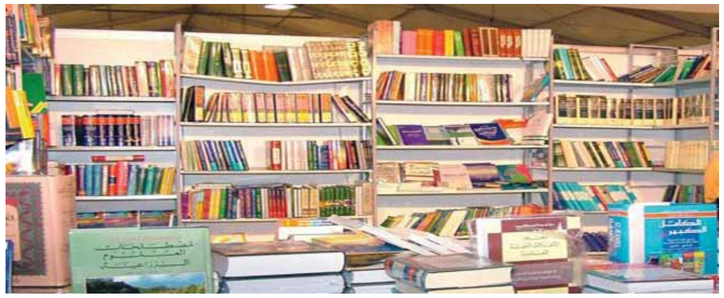

مع بدايات عمل مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، عمدت وزارة الثقافة إلى عقد معرض للكتاب العربي، وكان ذلك المعرض من البدايات معرضاً لائقاً، مزوداً بفهارس مطبوعة لمحتويات المعرض، كانت بداية في مجلد، ثم صارت أكثر من مجلد مع توسع المعرض، ليصبح معرضاً دولياً تشارك فيه الدول العربية، وتشارك دول أجنبية، ومؤسسات وجامعات عالمية، وحين ضاق المكان تم نقل المعرض لأكثر من دورة إلى مدينة المعارض، على الرغم من البعد والمشقة، ومع بدايات الحرب على سورية كان معرض الكتاب أكثر المتضررين في الجوانب الثقافية، وعاد مجدداً قبل سنوات، لكنه توقف مرة أخرى بسبب كورونا، وعقدت دورات تحت مسمى «معرض الكتاب السوري» واليوم هناك عزم على إقامة المعرض من جديد فماذا عنه؟

صورة للدورات الأولى

تم تنظيم المعرض، وقدمت خدمات جليلة للكتاب والناشر والقارئ على حد سواء، ابتداء من الفهارس التي بدأ توزيعها مجاناً، ثم صارت رمزية السعر، وكان المهتمون يحددون كتبهم ودورهم من خلال الفهارس، لنجد طلاب العلم العادي والشرعي، والباحثين والمهتمين يحملون أكوام الكتب على دراجاتهم الهوائية، وقد شهدنا كيف كانت بعض الدور تبيع كل ما لديها خلال الأيام الأولى من المعرض، وخاصة الدور التراثية، وقرأنا كتابات ومقالات تنتقد الكتاب التراثي من دون أن تميز بين كتاب ديني وآخر تراثي، بينما الكتاب الحداثي كان الإقبال عليه ضعيفاً نوعاً ما قياساً إلى الكتاب التراثي، وطرحت الحلول، ولكن الآليات بقيت بعيدة عن التطبيق والتنفيذ، ولم تدرس الظاهرة كما يجب، ولم يشعر القائمون بما تمثله من أزمة في الفكر والمجتمع.. ومهما كان الأمر فإن معرض الأسد للكتاب مثّل ظاهرة جعلته قِبلة في المنطقة، حتى للدول المجاورة.

المعرض والمحفزات

معرض دمشق كان إضافة إلى الدور العربية والعالمية فرصة لدور النشر السورية ومن المحافظات كافة، والتي قد لا تتمكن من المشاركة في معارض خارجية، وليس لها منافذ للتواصل مع القارئ في دمشق والمناطق السورية، وكانت درة الكتاب السوري تتمثل في مطبوعات وزارة الثقافة واتحاد الكتاب ومجمع اللغة العربية، والوزارة كانت متنوعة الإصدارات، فعندها الكتاب التراثي المحقق بكثرة وتميز، وعندها الكتاب النقدي والكتاب الفكري والكتاب الأدبي والكتاب المترجم وكتاب الطفل، وكذلك كان غنى اتحاد الكتاب الذي كان يومها منافساً في كل ميدان من ميادين الكتاب، وأهم الكتب المؤثرة صدرت عن هاتين المؤسستين، أما مجمع اللغة حين كان فاعلاً فكان يقدم الكتاب، وهذه الكتب موجودة لدى المتابعين، وتمثل اليوم ثروة من كتب اللغة إلى كتب الأدب..

واليوم قد يطبع المجمع كتاباً وقد لا يفعل، وقد يوكل حقوقه لدور خاصة مقابل عقد مجحف، من باب الراحة، وفقدان الخبرة والغيرة عليه.. ويكفي أن نجد أعضاءه يطبعون خارجه أعمالهم الجليلة، ويتركون له الأعمال التي لا يقرؤها كاتبوها..!

قد تكون وزارة الثقافة اليوم هي الأكثر نشاطاً مع أنه غاب عنها ما بدأته منذ سنوات بعيدة من جمع لآثار الأدباء الراحلين، سواء كانت مطبوعة من قبل، أم تم جمعها بمبادرة من لجان الوزارة لطباعتها.. وصارت هذه السلسلة أقل ظهوراً، وبين مدة وأخرى يصدر عمل من هذا القبيل..!

الأنشطة المرافقة

في دوراته كلها حرص معرض الكتاب على فعاليات مرافقة ذات قيمة كبيرة، كانت تغني أيام المعرض العديدة، وتحوّل المعرض من البيع إلى تظاهرة ثقافية عالية جداً، ومن هذه الأنشطة المرافقة والموازية:

١- الأمسيات الأدبية لشعراء وقاصين من سورية والعالم العربي، وقد حضرنا لقامات كبيرة على المستوى العربي، ولم يكن حضورها ممكناً لولا استقدامها وتكريمها في معرض الكتاب، وقد كانت قاعة مكتبة الأسد على سعتها تغصّ بالحضور، وتضطر الإدارة لفتح الأبواب للواقفين في بهو المكتبة، وربما زاد الأمر عن ذلك.

٢- اللقاءات النقدية، حضر إلى معرض المكتبة أيضاً عدد كبير من كبار النقاد العرب المعاصرين الذين كانوا يقدمون محاضرات ذات قيمة، تصل إلى درجة الأبحاث المحكمة.

٣- لقاءات الأدباء والباحثين مع كبار رجال النشر والإعلام في العالم العربي، وقد عقدت صفقات كثيرة بين أهم الدور وأدبائنا، وقد شهدت الساحة السورية بروز أسماء أدبية مهمة كانت محلية، وسبب بروزها كان معرض مكتبة الأسد.

٤- حفلات توقيع الكتب، ولم تكن الحفلات كما هي اليوم، وإنما كان الكبار من الأدباء والباحثين هم من يوقع كتبه لزوار المكتبة، وحفلات التوقيع كانت مناسبة مدهشة للقاء القراء بكاتبهم أو شاعرهم أو ناقدهم الذي أحبوه.

٥- العروض السينمائية، فقد خصصت إدارة المعرض أوقاتاً للعروض السينمائية حيث يتم اختيار مجموعة من الأفلام السينمائية السورية التي أنتجت حديثاً أو التي تشكل ذاكرة السينما السورية، ويتم عرضها بحضور صناع الفيلم أو بعضهم حسب الظروف.

ويتلو ذلك حوار حول الفيلم، وأزعم أن هذا النشاط حقق ثقافة سينمائية، وخاصة أنه يتوجه إلى جمهور غير سينمائي في أغلبه، ووجد نفسه وجهاً لوجه أمام السينما والشاشة.

هذا جانب من جوانب الأنشطة المرافقة التي عمل معرض مكتبة الأسد خلال دوراته التي عقدت، أو التي استؤنفت قبل التوقف الطويل ليستعاض عنها بمعرض هزيل حجماً ومكاناً وفائدة، وهو معرض الكتاب السوري الذي يقول: بضاعتنا ردت الينا! فنحن نقرأ أنفسنا، كالكاتب الأناني الذي لا يقرأ غير كتاباته، والإنسان الذي لا يرى غير منجزاته.. بعد أن كان المعرض القديم بصورته الأولى يحقق شهرة للكتاب السوري، ويتم بيعه بالجملة للدور المشاركة التي تأخذه إلى بلدانها، لجودته وجديته وفكره ورخص ثمنه.

أنشطة نحتاجها

لابد من الاستفادة من تجارب الآخرين التي نطلع عليها، وخلال دورات وسنوات عديدة ومن زيارات لمعارض الكتاب الدولية، ومنها معرض القاهرة للكتاب، ومعرض أبو ظبي للكتاب، ومعرض الشارقة للكتاب، فقد اطلعت من خلال زياراتي العديدة لمعرض الشارقة الدولي للكتاب أن أقف عند نقاط:

– شخصية العام الثقافية، وقد شهدت تكريم شخصية العام الثقافية لأكثر من دورة، آخرها العام الماضي الروائي الليبي إبراهيم الكوني، حيث تتم استضافة الشخصية ومحاورتها، والاستفادة من تجاربها، وعقد لقاءات كثيرة معها، وهذه الفكرة للشخصيات التي على قيد الحياة مهمة على أكثر من جانب.

– الدولة ضيف الشرف، في أغلب المعارض الكبرى، هناك دولة تكون ضيف شرف المعرض، حيث تحضر بفعالياتها الثقافية والفكرية والطباعية، وربما بما تملك من كنوز ومخطوطات ليتم عرضها وإقامة ندوات عنها وعن الكتاب العربي فيها.

– شخصية العام من الراحلين، وهذه سمة في معرض أبو ظبي، حيث يحتفى بشخصية مؤثرة راحلة، وإعادة طبع تراثها كما حصل العام الماضي مع نجيب محفوظ، ومن قبل مع العميد الدكتور طه حسين.

– وفي معرض القاهرة يتم حشد الأساتذة والهيئات من أجل الكتّاب الشباب الذين تتم طباعة أعمالهم، ويستضافون في المعرض لمواجهة الجمهور، والأكاديميين يقدمون لهم قراءات تشجيعية ويعرفون الناس بهم، وقد حضرت عدداً من هذه الجلسات، حيث يحضر أساطين الجامعات للوقوف إلى جانب الشباب.

لعودة ميمونة وقوية

ننتظر أن يعود معرض الكتاب العربي في دمشق، وربما معرض الكتاب الدولي، وليس هناك من مدينة جديرة بثقافتها وتاريخها مثل دمشق، وحتى يكون المعرض فاعلاً ومؤثراً لابد أن تكون عودته قوية وذلك من خلال:

– الاستفادة من تجربة المعرض قبل توقفه (الآليات، المكان، المرجعيات، المدخلات، المخرجات، الجدوى من انعقاده من جديد) لوضع آلية قد يتعب فيها المعنيون، لكنها تكون مجدية.

– استلهام تجارب المعارض العربية الأخرى (الشخصيات الثقافية، المبدعون الشباب، الطفولة، العلاقة مع التربية، العلاقة مع مجمع اللغة، العلاقة مع اتحاد الكتاب، العلاقة مع وزارة التعليم العالي)، وغير ذلك فالمعرض ليس ملكاً شخصياً لوزير أو وزارة، وهو سوري بامتياز، مع الحفاظ على مرجعيته الفكرية والقانونية.

– البحث عن آليات بصرية وفكرية تسهم في تعزيز مكانته.

– إضافة أنشطة تساعد على قوته لاستقطاب المزيد من الرواد.

– البحث عن آلية شراء من خلال كوبونات وقسائم وأسعار خاصة، فالمعرض ضمن هذه الظروف الاقتصادية سيتحول للزيارة والتسكع والعجز عن الشراء!

هناك آليات كثيرة لن أعرضها، ولن تكلف الكثير، لأن هناك من سيقول: إن المعارض التي ذكرتها مدعومة مالياً، وينسى المعترض أن معرض القاهرة العريق لا يختلف في إمكاناته عن معرض دمشق، ولكن الآليات أتركها لمن سيطرحها وينفذها وهو المعني، إن كانت لديه رؤية بأهمية هذا المعرض لسورية وثقافتها.

بانتظار معرض دمشق للكتاب، والثقافة سلاح واقتصاد ومجتمع، والثقافة عقيدة مجتمع لو أدركنا قيمتها، ولم ننظر للثقافة على أنها تظاهرات تمر وكفى.

> مناسبة لإبراز المثقف السوري وتكريمه وتعزيز دوره الذي سُلب منه في الداخل والخارج!

«القيمة الجمالية والفعل الفني».. قراءة حديثة لواقع الكاريكاتور

رائد خليل: هو استفزاز للمخيلة لقول الجميل بحثاً عن معادلة الإدراك الحقيقي

| مايا سلامي

صدر عن وزارة الثقافة- الهيئة العامة السورية للكتاب دراسة بعنوان «القيمة الجمالية والفعل الفني- الكاريكاتور أنموذجاً» تأليف رائد خليل، تقع في ١٢٧ صفحة، وتقدم قراءة حديثة لواقع فن الكاريكاتور الذي يحوي نسيجاً متكاملاً من بنى شكلية تتكئ على معين الوقائع والأحداث فيطرحها في رؤى مختلفة، حيث يتمتع بعض فناني هذا النوع بحس ابتكاري منفتح على كل الاحتمالات التي تفسح لهم اختزال الواقع بتعبير شجاع يقوم على طرح فني مثير.

كما تبحث الدراسة في الرموز الدالة والأفكار المطروحة بفن الكاريكاتور الذي تكثر فيه الحالات التعبيرية التي تترك المجال لبوح متناسل من عمق بنية المفردات الشكلية المتجانسة مع ذاكرة الفنان، وتثير التساؤل التالي: هل التعبير عزف منفرد لنظرة أحادية غارقة في تأويلات فردية، أم هو سير على حافات رصيف المفاهيم الفنية المتعارف عليها؟

ويشكل الاستدلال والبحث في مضامين العمل الفني حالة من التحليل المنطقي إذ يركب ليخدم متطلباً ما، ويبدو أن العائد المعرفي يحتاج إلى مقدمات يقينية ومن دونها ينفتح اتجاه على طريق الغرق التأويلي والالتفاف في متاهة دائرة الاستنتاج غير المنطقي.

القيمة الجمالية

وفي البداية يتحدث الكاتب عن القيمة الجمالية للفن عموماً، فيوضح أن الفن جاء تحولاً قصدياً بعد سلسلة انعطافات محملاً ببطانة جمالية، ترجمها بعضهم ووصفها توصيفاً دقيقاً ليحملوا لنا مصطلحاً جديداً هو «الاستاطيقا» بمفاهيمه واستدلالاته، وبملاءات حداثوية بعيداً عن الكلاسيك.

ويبين أن الفن هو استفزاز المخيلة لقول الجميل بحثاً عن معادلة الإدراك الحقيقي والحكم على مفاصل العمل ضمن مجالات واسعة الطيف، ومع هذه الإحداثيات الفنية المتوالدة برزت نظرة فلسفية غيرت مفهوم الكلاسيك لتقف عند عتبات القراءة الحديثة للواقع، وهذا يعد نقلة مهمة في التخلص من رواسب القديم الثابت في بنيانه التشكيلي للانطلاق نحو عوالم الذات المنغمسة في قواميس التجديد والنزعة الرومانسية.

ويشير إلى أن الفن يحاول دائماً ملامسة الواقع بمثالية مطلقة تحفل بحساسية مفرطة فيها انطباع واستدلال وبحث عن القيمة الفنية متحرراً من قيود المقاييس القديمة ويهيمنتها لقلب الصيغ المتوارثة ولتكون غرضاً لبناء مخيلة حديثة بأثواب جديدة.

الدلالات الرمزية

وفي حديثه عن العلاقات الرمزية وتجليات المعاني وقضائها يستشهد رائد خليل بحكمة كونفوشيوس التي تقول: «لا يمكن للمرء أن يحصل على المعرفة إلا بعد أن يتعلم كيف يفكر»، إذن هو سؤال الخلق الإبداعي أما الدواعي النفسية المرتبطة بالحاجات فهي التي تأخذنا إلى القول الرمزي المسربل بعواصف من المشاعر الموحية.

ويوضح أن الرمز هو مسلك ودلالات وخطاب غير مباشر بمعادلات غير محدودة الأبعاد، لهذا كل الأشكال التي نتعامل معها قابلة للصياغة والتلوين، بدءاً من الألف وصولاً إلى الياء، فكل اللغات والرسوم كانت وما زالت تشكل حلقات وصل بين الشعوب وهي حالة تمثيلية في المجالات كلها.

وفي هذا السياق يشير إلى قول «بودلير»: «إن المعرفة الجمالية نقيض المعرفة العادية، إنها معرفة رمزية، فإن غاب الرمز، غاب الفن»، ويؤكد خليل أن هذا القول يحتاج إلى تفكيك ثم إعادة بناء في فهم منظومة العلاقات الرمزية وفي أشكالها وإسقاطاتها وتأثيرها سلباً أم إيجاباً، وهناك من يرى فيها خطراً وتقييداً للمفهوم الجمالي.

القراءة الصحيحة

وفي دراسته يشير الكاتب إلى ضرورة القراءة الصحيحة للفعل الكاريكاتوري الحاضر، ويذكر: «إن قراءة المختزلات الفنية الصحيحة في العمل الكاريكاتوري تقودنا إلى شطب مفردات بالية مترسبة ومتراكمة لعناوين سابقة أطرت العمل، وسوقت مفاهيم مغلوطة، وارتكبت فعلاً منافياً للحقيقة، أصبح فيما بعد عرفاً، بل نهجاً أو مدرسة يستند إليها الكثير في تضميناتهم وتحليلاتهم».

ويؤكد أن القراءة الصحيحة تحتاج إلى تحرير الخطوط لتأخذ مساراً لا يخلو من الجدلية وطرح إشكاليات الإجابات المتعددة، لا تحتاج إلى تحرير الخطوط لتأخذ مساراً لا يخلو من الجدلية وطرح إشكاليات الإجابات المتعددة لا الوقوف فقط على ناصية قراءات الاحتمال.

ويبين أن إمعان النظر إلى عناصر العمل الأساسية ينشط فينا عادة قراءة العناوين العريضة واختزال النص وتخصيبه، ويظل الكاريكاتور شئنا أم أبينا، خشبة مسرح كبيرة بستائر تفتح لنا باب النظر من بعد، وبلورة صياغة حسية تأثيرية لا تخلو من الجرأة في ذر الملح على جروح متعددة التوصيفات.

برجك اليوم 09/11

نجلاء قباني

الحمل

تبذل جهوداً إضافية للحفاظ على جو منسجم، فالرغبات التي تسكنك توشك أن تتحقق أو قفزات لم تكن تحلم بها، فاليوم للتغييرات وأوقات مهمة تقضيها لتحسن أمورك.

عاطفياً: قد يساعدك بعض الأصدقاء في مهام موكلة إليك أو في تحولات أنت تطمح لها.

الثور

حلّل وابحث وطوّر حياتك فالحظوظ مساعدة لخطوات ناجحة قد تسعدك وتغير محيطك هذا اليوم لأنك تستطيع منح الإلهام والحافز للآخرين ودفعهم للأفضل من خلال حماسك.

عاطفياً: تستعيد نشاطك وحيويتك وتعتمد على أناس أكفاء لمساعدتك وقد تشعر بصفاء في علاقاتك.

الجوزاء

حاول أن تكون أهدأ في تعاملك ولا تفترض السوء في الآخرين بسرعة وتنس محاسنهم فجأة، فالحب حولك فيه بلبلة وعدم استقرار ولذلك لا تصعد الخلافات وخاصة في الأجواء العائلية.

عاطفياً: تمر بأيام للشجارات وللصدامات.. فاحمِ نفسك من تصرف متسرع وواجه مشاكلك بهدوئك المعتاد.

السرطان

المشكلة أننا حين تكون أعمالنا كثيرة نبدأ بالتأفف وننسى أن هذا العمل نحبه وأنه إنجاز جيد بالنسبة لنا واليوم قدرتك على احتمال كل ما يجري حولك يزيد من طاقتك لتغيير ما يمكن تغييره.

عاطفياً: تعدل الأجواء بدعم كبير لمصلحتك وأظن أنني سأبارك لك بلقاء فأنت رومانسي.

الأسد

أنت تحرر نفسك تباعاً من جميع المعوقات وتواصل التعديلات في وضعك المهني والشخصي وتملك الطاقة والفعالية وحوارات مع المحيط مجدية والأهم أن أصدقاءك يمنحونك الدعم.

عاطفياً: اليوم جيد لنيل التأييد من المحيط العاطفي والعائلي فأنت تقبل نفسك وتقبل الآخرين برضا.

العذراء

لا تفقد سيطرتك على أمورك وابتعد عن السلبية وواجه الضغوط بروح شجاعة وإذا صادفتك أزمة قل إن هذا الأمر طبيعي، فأنت تملك الحلول لكل المشاكل ولكن قد ينقصك التنظيم أو التخطيط الجيد لمواجهة المشاكل.

عاطفياً: وضعك متقلب ولكنه وكلما تقدم اليوم تميل أكثر إلى الهدوء وتبتعد عن العصبية.

الميزان

أيام لشرح مشاعرك ومناقشة أمورك العاطفية والعائلية بشكل واضح ومفهوم وبناء والحقيقة أنك تملك سلة تفاهمات يؤيدك عليها من حولك ويفرحون معك أو تفرح معهم في جديد.

عاطفياً: تقبل النصيحة ممن يحبك وطبق النصائح التي تمنحها للآخرين على نفسك.

العقرب

وجود الزهرة في موقع صديق سيجملك الكثير من الأعباء في زيارات أو تواصل ولا أظن أن منزلك سيخلو من ضيوف أو زوار وهذا سيستدعي تنظيماً في أمورك المالية وجهداً صحياً.

عاطفياً: اليوم جيد لتحسين علاقاتك مع المحيط وتنال دعماً في أمورك العائلية.

القوس

أنت نشيط ومفكر وتلاحق أهدافك وتقنع من حولك بإرادتك وقراراتك لأنك تدرسها، فضع إستراتيجية للوصول إلى ما تريد فالحظوظ مساعدة لتصل إلى السعادة.

عاطفياً: علاقتك بالآخرين أفضل فهم يدعمونك ويساعدونك ولو بالمدح وربما بالمساعدات المالية.

الجدي

أمر من أمورك يصبح مشاعاً فاحرص على مكاسبك وموقعك وممتلكاتك فقد تتفوه ببعض الكلمات العفوية وخاصة في اجتماع أو وسط صداقات، ما يعرضك للخسارة.

عاطفياً: تمسك بمن تحب بعيداً عن العناد أو المكابرة فاليوم للشجارات أو التوتر.

الدلو

اليوم الأفضل للعلاقات والتعارف والتحضيرات الإيجابية لأفراح ولاستقبال الضيوف وهذا يوم مناسب لتمتّ علاقاتك بمن حولك وخاصة في العمل وقد تشمل الأمور الشخصية.

عاطفياً: أنت تمتلك الحيوية ومحبة الآخرين ومساعدتهم فحافظ على طيبعتك الودودة واللطيفة.

الحوت

تزيد حساسيتك عن الحد الطبيعي وتصبح تفسيراتك للأمور من النظرة الكلمة مَيّالة إلى السوداوية والتشاؤم فالجأ لمن تحب وكن أكثر وضوحاً في شرح مشاعرك ومشاكلك ونسق ظرفك ووضعك حسب الموجود.

عاطفياً: اليوم صعب فأنت عصبي وهناك أمور تقلقك صحياً أو كنزاعات أو جدال لا داعي له.